

## المحاضرة الثانية

### مدخل إلى نظرية الانساق 02



#### 1- خصائص الأنساق:

تتمثل أهم خصائص الأنساق في :

#### 1-1: التوازن Homeostasis:

لكل نسق خاصية الحفاظ على ذاته، فإن له خاصية أن يبقي نفسه في حال توازن وتسمى هذه الخاصية بخاصية التوازن، وهي الحفاظ على سلوك النسق وضبطه داخل نطاق الحدود المطلوبة، وعندما يحدث أي شيء خارج نطاق المدى المقبول للنسق فإن النسق يصبح في حالة عدم اتزان ويظهر التوتر، وعندما يحدث عدم الاتزان أو التوتر فإن ميكانيزمات وفنيات التوازن الحيوي يتم استثارها لكي تستعيد توازنه من جديد. إن النسق يفحص نفسه بدقة ويستطيع أن يقرر أو يحدد العامل الذي يسبب حالة عدم التوازن، ثم يكيّف نفسه في حدود المدى المرغوب فيه من خلال العودة إلى حالة التوتر المنخفض أو المعتاد.

وتسعى الأنساق الحية سعياً حثيثاً من خلال عمليتي استرداد وتصدير الطاقة للوصول إلى مستوى التوازن بحيث لا تصدر ولا تستورد طاقة أكثر مما يجب.

ولو أخذنا الأسرة كنسق، تؤدي آليات الاتزان وظائفها في الحفاظ على الاستقرار من خلال تفعيل القواعد التي تحدد علاقاتهم (أفراد الأسرة)، وهنا تثار بعض الأسئلة التي تتعلق بقدرة الأسرة على تحقيق توازنها والحفاظ عليه، مثل ما الذي يحدث عندما يتوجب على الأسرة أن تغيّر أو تعدّل في قواعدها عندما تواجه بظروف جديدة؟ وما مدى تكيف أو مرونة القوانين أمام تغيّر أنماط راسخة أو مألوفة في أسر معينة؟ ويلاحظ أنّ الأطفال في نموهم غالباً ما يضغطون على الأسرة، مما يستوجب أن تغيّر من قواعدها ونظمها أو تعيد ترتيب علاقات أفرادها بعضهم ببعض، فالأطفال عندما يكبرون ويدخلون مرحلة المراهقة يريدون زيادة في مصروفهم الشخصي، ويحتاجون إلى حرية أكثر في الدخول والخروج من المنزل، واختيار الأصدقاء، ومتابعة اهتمامات تختلف تماماً عن تلك التي تشغل بها الأسرة على نحو معتاد، وكثيراً ما يتحدى المراهقون قيم الأسرة وعاداتها وأعرافها وبذلك يسببون خللاً في التوازن الأسري، ويظل الوضع يعاني من الخلل إلى أن يستطيع النسق الأسري أن يستعيد توازنه.

إجمالاً، يمكن القول أنّ التوازن كما يراه عبد الناصر عوض 2012 يتمثل في:

- قدرة الأسرة على إقامة علاقات إيجابية بين الأفراد.
- قدرة الأسرة على توزيع المسؤوليات داخلها دون أن يؤدي ذلك إلى حدوث الصراع.
- وضوح قنوات الاتصال بين أفراد الأسرة.

- قدرة الأسرة على مواجهة وإشباع الحاجات الجديدة لأفرادها،  
قدرة الأسرة على إحداث الموائمة بينها وبين المجتمع.

## 2-1: التغذية الراجعة Feedback:

هي آلية التنظيم الذاتي المتاحة للأنساق للحكم على المخرجات التي تنتجها، من أجل إجراء التعديلات اللازمة إذا تحتم الأمر. ويعتمد اشتغال النسق على وجود حلقات تغذية راجعة متعددة، أي آلية تتيح العودة إلى مدخلات النسق في شكل بيانات ومعلومات تعتمد بشكل مباشر على المخرجات، وهناك نوعان من حلقات التغذية المرتدة: الحلقات الإيجابية والتي تستند إلى ديناميكيات التغيير، والحلقات السلبية التي يعتمد عليها النسق في التوازن والاستقرار.

كما أنّ التغذية الراجعة وسيلة يحتفظ من خلالها النسق بحالة مستقرة، وعندما يخرج النسق عن توازنه لأي سبب من الأسباب تزيد التغذية الراجعة الإيجابية من انحرافها، بينما تعمل التغذية الراجعة السلبية بوصفها عملية مثيرة أو منشطة للخطأ وهي مصممة لمساعدة النسق على استعادة حالة الثبات. وهكذا فإنّ التغذية الراجعة السلبية تصحح حالة عدم التوازن وتعيد النسق إلى حالة الاتزان.

ومن المهم الإشارة إلى أن التوازن يرتبط بكل من التغذية الراجعة الموجبة والتغذية الراجعة السالبة، على اعتبار أنّ هذه الأخيرة تساعد على التغيير بينما التغذية الراجعة الموجبة تساعد على الاستقرار، فالسالبية تشير إلى عدم الرضا عن الوضع القائم وعن صورة العلاقات السائدة في الأسرة، وبالتالي فهي تدفع إلى التغيير وإلى تحسين صورة الوضع الحالي بعكس التغذية الراجعة الموجبة التي تدل على الرضا عن صورة العلاقات وعن الوضع القائم في الأسرة، هذا وقد يستقر النسق الأسري على نمط خاطئ وفي هذه الحالة يتم العمل على كسر التوازن القائم وإعادة تشكيله على أسس جديدة.

الملاحظ أنّ مصطلح موجب وسالب كما تستخدم في نظرية الأنساق لا يجب أن تفسر طبقاً لمعناها الشائع أو بوصفها مكافئة أو عتاب، فالتغذية الراجعة السالبة في هذه النظرية تشير إلى القوة التي تعمل على منع الانحراف عن المسار (استقرار النظام)، بينما لا تعني التغذية الراجعة الموجبة ذلك.

## 3-1: الحدود Boundaries:

الحدود أو الحدّ هو خط غير مرئي لتعيين الخطوط الفاصلة بين نسق وآخر، أو بين الأنساق الفرعية داخل النسق الأكبر أو حتى بين الفرد والبيئة الخارجية المحيطة، وفي نسق كالأسرة تحيط الحدود وتحمي كيان النسق وتضمن سلامته وتقرر ما الذي يعتبر داخل الأسرة النسق أو جزءاً منه، وما الذي يعتبر خارج النسق ومنفصلاً عنه. وتقوم حدود النسق بمهمة حارس البوابة الذي يضبط تدفق المعلومات إلى النسق ومنه. ويؤكد مينوشن Minuchin أنّ هذه التقسيمات يجب أن تكون واضحة ومحددة بصورة كافية، لتسمح لأفراد النسق الفرعية بأداء مهامهم بدون تدخل غير ضروري والذي قد يكون معيقاً، في الوقت الذي يتيح فيه وضوح الحدود حدوث الاتصال الصحي بين أعضاء النسق الفرعي والآخرين وهكذا فإنّ الحدود تساعد في حماية استقلال الأنساق الفرعية مع الحفاظ على الاعتماد المتبادل بينهما في الأسرة. يظهر أنّ وضوح حدود الأنساق الفرعية مهم جداً في فاعلية عمل الأسرة وتقوم أهميته تكوين الأنساق الفرعية ذاتها. وفي الأسرة السوية ينبغي أن تظل مسؤولية الأنساق الفرعية واضحة، فالجدة مثلاً التي تتدخل في طريقة إدارة ابنتها للمنزل أو طريقة تربيتها لأطفالها بطريقة قد تضعف النسق الفرعي، وهي بذلك تتجاوز سلطتها من خلال تدخلها وتجاوزها للحدود في الأسرة.

ويجب أن تكون الحدود المحيطة بالأسرة قابلة للانضباط لضمان التأقلم والبقاء، أي أن تكون حدود الأسرة منيعة بما يكفي لكي تبقى الأسرة نظاماً متماسكاً وناظراً بما يكفي للسماح بتناول المعلومات والطاقة اللازمة للبقاء على قيد الحياة، فالأسر المعزولة هي ذات حدود غير نفوذة والعائلات الفوضوية لها حدود مفرطة في النفاذية. وبالتالي يمكن استنتاج أنّ للحدود ثلاثة أنواع:

**الحدود الصلبة:** صعبة الاختراق ولا تسمح بتبادل كبير مع البيئة.

✚ **الحدود المرنة:** تسمح بتبادل كافٍ ومنظم للمادة والطاقة والمعلومات مع البيئة.

✚ **الحدود المائعة:** ضعيفة للغاية أو غير واضحة المعالم.

**النسق الفرعي:** هو جزء من نسق (نظام) أكبر يتكون من وحدات أو مكونات تتفاعل مع بعضها البعض وتؤثر في بعضها. مثلاً في الأسرة: يعتبر النسق الأخوي نسقاً فرعياً داخل النسق الأسري الأكبر، وتتأثر ديناميكيته بالديناميكية العائلية العامة وتؤثر فيها. أمثل أخرى عن

الانساق الفرعية: النسق الفرعي الزواجي يتكون من الزوج والزوجة، نسق فرعي والدي يتكون من الاب والام اللذان يتوليان تربية الأطفال ورعايتهم، نسق فرعي أخوي يتكون من الأبناء(الأخوة)، النسق الفردي هو كل فرد بحد ذاته داخل الأسرة.

#### 4-1: فقدان الطاقة Entropy:

تتفاعل الأنساق مع البيئة المحيطة بها عن طريق عمليتي استيراد وتصدير الطاقة والمعلومات. ويرمز لعملية الاستيراد بالطاقة الداخلة **In put** ويقصد بها كل ما يأتي إلى النسق من البيئة الخارجية، من معلومات وموارد بشرية ومادية ومالية. ويرمز لعملية التصدير بالطاقة الخارجة **Out put**، ويقصد بها كل ما يصدر عن النسق من معلومات وموارد بشرية ومالية إلى البيئة الخارجية، وبالتالي يمكن القول بأن لكل نسق مخزون معين من الطاقة يستخدمه في تفاعلاته مع البيئة الخارجية، وتصل الأنساق مرحلة فقدان الطاقة إذا بدأت بتصدير طاقة أكبر من تلك التي تستوردها، فمرحلة فقدان الطاقة يقصد بها النقص في مخزون النسق من الطاقة والنتائج عن تصديره طاقة أكثر من تلك التي يستوردها.

#### 5-1: تخزين الطاقة Negentropy:

باستخدام نفس التعبيرات عن استيراد وتصدير الطاقة تصل الأنساق إلى مرحلة تخزين الطاقة، إذا بدأت تستورد طاقة أكثر من تلك التي تصدرها فعملية تخزين الطاقة هي الزيادة في مخزون النسق من الطاقة والنتائج عن ميل النسق للأخذ من البيئة أكثر مما يقدم لها.

#### 2- دورة حياة الأسرة:

إنّ دورة حياة الأسرة تمرّ بعدة تغيرات منذ بداية تكوينها بالزواج، مما يترتب على ذلك أيضا تغيرات ينبغي أن تتم في النسق الأسري حتى تعيش الأسرة حياة متوازنة سوية وعادية.

تبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج ثم تنقضي فترة معينة قد تطول أو تقصر (حسب عدد الأطفال الذين تتجهم الأسرة)، حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد والملاحظ هنا أنّه كلما ازداد متوسط العمر في المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التي يقضيها الزوجان وحدهما بدون الأولاد- بعد انتهاء حياة أسرتهما. وتنتهي دورة حياة الأسرة -على لأقصى الأحوال- في اللحظة التي يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار وينهون تعليمهم، ويغادرون بيت الأسرة لكي ينشؤوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة. ولا يعني انفصال الأولاد عن بيت الوالدين -بعد انتهاء دورة حياة الأسرة - أنّ الاتصال بينهما قد انقطع كلية(على خلاف ما كان يعتقد في الماضي)، ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التي تميّزه عن المرحلة السابقة، فالصلة بين الأبناء وأبائهم في مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذي كانت عليه في الماضي، ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدّتها كما تفقد انتظامها واتصالها. كذلك تتغيّر طبيعة العلاقة تغييرا جذريا فلم تعد العلاقة بين الطرفين علاقة بين "والدين" و"أطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تتم بين أشخاص متساوين في الحقوق، وبذلك تظهر في لحظة معينة من دورة حياة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة.

وتمرّ دورة حياة الأسرة بعدة مراحل كما يوضحها الجدول التالي:

مراحل دورة حياة الأسرة	العملية الانتقالية في التحول: مبادئ مفتاحية	تغيرات من الدرجة الثانية في مركز الأسرة متطلبة للتقدم النمائي
1-بين الأسرة(الأصلية): الشاب غير المتزوج	*تقبل انفصال الأبناء عن الآباء	أ-تمايز الذات في علاقتها مع الأسرة الأصلية. ب-نمو العلاقات الحميمة مع الآخرين. ج-تعزيز مركز "الذات" في العمل.
2-ارتباط الأسر من خلال الزواج: الأسرة الجديدة المكونة من الزوجين.	*الالتزام بالنسق الجديد(الأسرة التي تكوّنت)	أ-تكوين النسق الزواجي. ب-إعادة ترتيب العلاقات مع الأسرة الممتدة والأصدقاء لتتضمن الزوجين معاً.
3-الأسرة مع أبناء صغار.	*تقبل الأعضاء الجدد في النسق	أ-تعديل النسق الزواجي ليفسح مكانا فيه للأطفال. ب-القيام بالدور الوالدي. ج-إعادة ترتيب العلاقات مع الأسرة الممتدة لتتضمن الأدوار الوالدية وأدوار الأجداد.

4- الأسرة مع أبناء مراهقين.	*زيادة المرونة في حدود النسق الأسري لنسمح باستقلالية الأبناء المراهقين.	أ- تعديل علاقات الوالد-الطفل لتسمح للمراهقين أن يتحركوا بحرية في النسق الأسري وخارجه. ب- إعادة تركيز على قضايا وسط الحياة الزوجية والقضايا المهنية. ج- بداية التحول نحو اهتمامات الجيل الأكبر.
5- انطلاق الأبناء وبداية تركهم المنزل.	*تقبل الخروج والدخول المتعدد من وإلى النسق الأسري.	أ- إعادة التفاوض في النسق الزواجي كزوجين. ب- ارتقاء العلاقات لمستوى "راشد لراشد" بين الأبناء الأخذين في النمو وأباءهم. ج- إعادة إعادة ترتيب العلاقات لتتضمن الأصهار والأجداد. د- التعامل مع أنواع العجز والوفيات في الأبناء (الأجداد).
6- الأسرة في مرحلتها الأخيرة.	*تقبل التحول للقيام بأدوار الأجداد.	أ- الحفاظ على الاهتمامات ومحاولة أداء الوظائف الزوجية في مواجهة تراجع فيزيولوجي، واكتشاف أدوار أسرية واجتماعية اختيارية جديدة. ب- دعم الدور الأكثر مركزية الجيل الأوسط. ج- إفراح مجال لتبني دور الحكمة والخبرة المرتبط بكبار السن في الأسرة، ودعم الجيل الأكبر بدون إرهابهم بأداء وظائف جديدة. د- التعامل مع فقد الشريك أو أي من الأشقاء أو الأصدقاء، استعراض الحياة وتأملها في تكامل التهيؤ والاستعداد لانتهاى الحياة.

جدول يمثل مراحل دورة حياة الأسرة.

### 3- الأزمات:

#### 1- مفهوم الأزمات الأسرية:

تعرف الأزمة الأسرية بأنها " حالة من الصراع الأسري تحمل في طياتها رفض التعاون بين الأطراف في الأسرة، واللجوء للشجار والصراع مما ينتج عنه أزمات تمرق نسيج الأسرة وقد تؤدي إلى انهيار مقوماتها وأسس بقائها". وتتنوع الأزمات الأسرية بين أزمات اقتصادية، واجتماعية وصحية ونفسية تواجه أفراد الأسرة وتؤدي إلى حدوث خلل في وظائف الأسرة الأساسية، ما يترتب عليه عدم استقرارها واحتياجها للعودة لحالة الاتزان والاستقرار الأسري، وتحتاج الأسرة بالتالي لتنمية قدراتها إدارة هذه الأزمة للوصول بالأسرة وأفرادها إلى برّ السلامة والأمان.

كما تعرف الأزمات بأنها مواقف تتطلب علاجاً وإصلاحاً لمواطن الخلل في العلاقة الزوجية أو الأسرية، وهذه المواقف نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، حيث تتطلب هذه المواقف التعاون والتنسيق بين كافة الجهود والأساليب العملية والعلمية للتصدي من أجل إعادة التوازن للأسرة. وقد صنف هيل Hill الأزمات الأسرية إلى ثلاث فئات:

- التمرق وفقدان الأعضاء مثل: موت أحد أفراد الأسرة.
  - التكاثر أو الإضافة: مثل زوج الأم، زوجة الأب، مولود جديد، وجود أحد والدي الزوجين.
  - الانهيار الخلقي، كانهيار القيم والأخلاق الحميدة في الأسرة مثل تعاطي المخدرات، الانحرافات السلوكية.
- وقد تؤدي الأزمة إلى زيادة التوتر والصراع في الحياة الأسرية وضعف في وظائفها، مما قد يصل إلى التفكك الأسري أو الطلاق، وغالباً ما تتزامن الأزمة مع مراحل انتقالية في دورة حياة الأسرة (ولادة طفل جديد، زواج الأبناء، فقدان أحد الوالدين، ...).

#### 2- تصنيف الأسر المعرضة للأزمات:

ومن بين الأصناف الأسرية التي تكون أكثر عرضة للأزمات، نجد **سلفادور مينوشن** **Silvador Minuchin** يقدم صنفان أساسيان من الأسر، **أولاهما** الأسرة التي يمكن تسميتها **بالأسرة المتباعدة**، وفيها الاتصالات قليلة بين أفرادها كلٌّ يعيش في عالمه الخاص. وعندما يشعر أحد أفرادها بالتوتر أو الضغط فإن الآخرين ليسوا بالضرورة لهم علاقة بهذا الذي حدث أو يتأثرون به، ويكون بيت الأسرة مكانا مشحونا بالتوتر بالنسبة لأعضاء الأسرة، والأم بصفة خاصة هي التي تخبر هذا النمط كنمط مولد للأزمة والتوتر. وتشعر كما لو كانت مستغلة من أفراد الأسرة الآخرين، وتشعر بالإحباط في طموحاتها الشخصية وحاجتها ويكون لديها صورة منخفضة لذاتها وقدراتها، بل إنها قد تنمي أعراضا جسمية ناتجة من هذه الأزمة على هيئة اضطرابات جسمية-نفسية. أما **الصنف الثاني** من الأسر فهو **هو الأسرة المتشابكة**، ويعني هذا المصطلح أن الأسرة متشابكة جدا أي أن كل الأفعال والاتصالات من جانب واحد من أفرادها تُقابل بأفعال واستجابات من الآخرين، وعندما يلم بأحد منهم مكروه أو أزمة فإن الكل يخبر (يعيش) هذه الأزمة، ويسلك على نحو متعاطف مع الشخص المتأثر وبينما قد يشعر الأفراد داخل الأسرة من وقت لآخر أنهم متحررون أو أنهم يريدون التحرر من أعباء وأحمال أعضاء الأسرة الآخرين، فإن هؤلاء يكونون غير قادرين على أن يفعلوا ذلك مادامت طبيعة الأسرة مثل خيط العنكبوت التي تمسك كل منهم إلى الآخر في الشبكة. وقد ذهب **مينوشن** وزملاؤه إلى هذين النمطين من الأسرة يحتمل أن يخبرا الأزمات أكثر من الأنماط الأخرى ما دام بناؤهما الداخلي يؤدي إلى الأزمة. لذلك يرى **مينوشن** أن دراسة الأسرة من حيث التماسك أمر هام لأنه يكشف إلى أي مدى تكون الأسرة ككل وكيان مقابل أن تكون أجزاء منها فقط هي التي تعاني من الأزمة.